المحاضرة الثانية: مفهوم النص وتشكله ومعاييره

1/مفهـوم النـص:

يجدر بنا قبل التطرق لآليات الاتساق أن نعرج على مفهوم النص باعتباره أحد المفاهيم الأساسية التي انبنى عليها هذا العلم، وقد اختلفت تصورات الباحثين لهذا المصطلح تبعا لتعدد منطلقاتهم ومبادئهم، وتنوع انتماءاتهم المعرفية إذ من الملاحظ بوجه عام أن هذا الاتجاه – لسانيات النص– قد أثار نقدا شديدا وخلافا كبيرا بين الدارسين حول حدود النص وتصوراته وعلاقاته، ويرون أنه لا توجد مصاعب تواجه علما من العلوم مثلما هي الحال بالنسبة لهذا العلم، حيث إنه حتى الآن، وبعد مرور ما يربو عن ثلاثة عقود على نشأته الفعلية لم تتحدد مصطلحاته بدرجة كافية، بل إنه ملتقى لاتجاهات وتصورات غاية في التباين وفروع علمية غاية في الاختلاف، ونتيجة لذلك فإنه لا يسود حول مقولاته وتصوراته ونظرياته الأساسية أي اتفاق بين الباحثين إلا بقدر ضئيل للغاية، رغم الجهود المضنية التي بذلها أعلامه لوضع حدود واضحة بينه وبين العلوم الأخرى، ولم يكن بذلك حظ مصطلح "نص" أسعد حالا من مصطلح "جملة" فثمة اختلاف شديد ... في تعريف النص إلى درجة التناقض أحيانا والإبهام أحيانا أخرى، حيث كما سنرى لا حقا لا يوجد تعريف واضح ومتفق عليه من قبل الباحثين في مجال لسانيات النص بشكل مطلق.

أ. **المفهـوم اللغوي:**

جاء في لسان العرب لابن منظور: النص: رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصا: رفعه، وكل ما أظهر فقد نص، وقال "عمرو بن دينار" ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند، يقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه، ونصت الظبية جيدها أي رفعته.

ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور ونص المتاع نصا: جعل بعضه على بعض، وقد جاء في معلقة امرئ القيس قوله: (الطويل)

وجِيدٍ كَجِيْدِ الرِّئمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إذ هِيَ نَصَّتهُ وَلاَ بِمُعَطَّلِ

ومما يلاحظ على المعاني اللغوية لمادة (ن.ص.ص) في هذ المعجم أنها متعددة وتدل إما على:

- الرفع بنوعيه الحسي والمعنوي.
- أقصى الشيء وغايته.
- ضم الشيء إلى الشيء.

- الإظهار.

أما المعنى الشائع والمستقر بين متكلمي اللغة العربية المعاصرة، فهو صيغة الكلام الأصلية التي وردت في المعاجم الحديثة مثل المعجم الوسيط والمنجد، إذ جاء في الأول على أنه:"صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف.... أو ما لا يحتمل إلا معنى واحد أو لا يحتمل التأويل، ومنه قوله: "لا اجتهاد ما النص".

أما النص في المعجم الفرنسي **(Texte)** فهو مأخوذ من مادة **(Textus)** اللاتينية التي تعني **النسيج**، كما تطلق كلمة **(Texte)** على الكتاب المقدس أو كتاب القداس ... كما تعني منذ العصر الإمبراطوري ترابط حكاية أو نص... و النص منظومة عناصر من اللغة أو العلاقات، وهي تشكل مادة مكتوبة أو إنتاجا شفهيا أو كتابيا، فالملاحظ من مادة **(Texte)** أن معناها الدال على النسيج يوحي بدقة التنظيم وإحكام العمل وعدم وجود فراغات بين أجزاء العمل، وإحكام الربط بين أجزائه، وهو المعنى الذي انتقل إلى النص لأن النص باعتباره نسيج من الكلمات يرتبط بعضا ببعض، وهذا الربط الذي يحدث في النص هو بمثابة خيوط النسيج تربط أول النص بآخره فتجمع بذلك عناصره المختلفة والمتباعدة لتكون بذلك وحدة متكاملة، ويفترض هذا أنه إذا لم تكون هذه الألفاظ والجمل نسيجا محكم الترابط لا يعد هذا نصا كما ذهب إلى ذلك رولان بارط.

كما يتبنّى نفس الطرح ويذهب الأزهر الزناد إلى أنه حين صرّح بأنّه "يتوفر في مصطلح "نص" في العربية وكذلك في مقابله في اللغات الأعجمية **(Texte)** معنى "النسيج". فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض عن طريق هذه الخيوط التي تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح "نص".

فمما هو ملاحظ أن المعنى المعجمي لمصطلح النص في اللغة العربية وفي اللاتينية يقترب بعضه من بعض ويكاد يكون تعريفا واحدا، إلا أنه في التعريف اللاتيني أقرب من الترابط النصي الذي تنادي به لسانيات النص.

ب. المفهوم الإصطلاحي:

سبق وأن قلنا أنّ هذا المصطلح اختلف في تحديد دلالاته الاصطلاحية، نظرا لاختلاف رؤى الباحثين في هذا المجال، وكذا تعدد الاتجاهات والنظريات والمدارس اللسانية التي ينتمون إليها، والخلفية المعرفية التي ينطلق منها، وسنحاول من خلال هذا المبحث تقديم أهمّها لتبيّن الفرق بينها. **عند علماء العرب:**

فممَّا جاء في الدراسات العربية الحديثة التعريف الذي قال به **عبد الرحمان طه** بأنه – النص- "كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيها بينها بعدد من العلاقات"، ويعتبر هذا التعريف من أهم التعريفات المعاصرة للنص، وقد

جاء هذا الأخير على أساس منطقي، يظهر فيه صاحبه بأنه عبارة عن جمل مترابطة داخل بناء بعلاقات معينة.

ويذهب **نور الدين السد** في كتابه الأسلوبية وتحليل الخطاب إلى أن النص ليس "مجموعة جمل فقط، لأن النص يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا نثرا أو شعرا، حوارا أو مونولوجا، يمكن أن يكون أي شيء من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها من نداء استغاثة حتى مجموعة مناقشة حاصلة طوال يوم في لقاء هيئة".

ثم يذهب بعد ذلك إلى أن النصية هي التي تميز النص من اللانص، فيقول:"النصية تحقق للنص وحدته الشاملة، ولكي تكون لأي نص نصيته ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة".

2/تشكل النص

فقد انطلق السد في تعريفه للنص من رؤية لسانية تصنف النص تصنيفا نوعيا من خلال تحقق وحدة النص الشاملة من عدم تحققها، ويرجع تحقق هذه الوحدة النصية إلى مجموعة من الوسائل اللغوية والتي يأتي على رأسها كما يذكر السد **الاتساق** الذي يعد المقوم الأساسي في الحكم على نصية أي نص فيقول: "فإذا توافرت وسائل الاتساق كان المقطع اللغوي كلا موحدا، وإذا افتقد إلى الخصائص التي تميزه، والوسائل التي تجعل منه متسقا موحدا وجمله غير مترابطة، فقد مقومات وجوده"، وقد وضع –السد- مخططا بيانيا يوضح فيه الفرق بين الظاهرتين : (النص و اللانص):

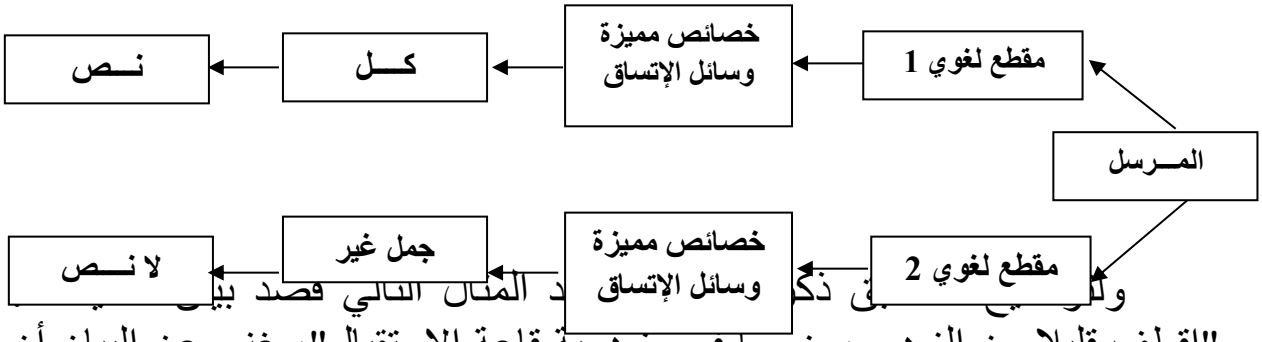

ولتوضيح ما سبق ذكره نورد المثال التالي قصد بيان [illegible] "اقطف قليلا من الزهور، ضعها في مزهرية قاعة الاستقبال"، غني عن البيان أن الضمير "ها" في الجملة الثانية يحيل قبليا إلى الزهور في الجملة الأولى، وما جعل الجملتين متسقتين هو وظيفة الإحالة القبلية للضمير "ها"، وبناء على ذلك فإن الجملتين تشكلان نصا.

أما مفهوم النص عند **عبد الملك مرتاض**فإنه من حيث الشكل لا يحدده من خلال كمه -أي من خلال الجملة أو مجموعة الجمل- داخل النص، فهو يرى أن النص "لا ينبغي أن يحدد بمفهوم الجملة، ولا بمفهوم الفقرة التي هي وحدة كبرى

لمجموعة من الجمل، فقد يتصادف أن تكون جملة واحدة من الكلام نصا قائما بذاته مستقلا بنفسه، وذلك ممكن الحدوث في التقاليد الأدبية كالأمثال الشعبية والألغاز والحكم السائرة والأحاديث النبوية التي تجري مجرى الأحكام وهلم جرا".

أما النص من حيث دلالته، فهو شبكة معطيات، ألسنية وبنيوية، وأيديولوجية كلها تسهم في إخراج النص إلى حيز الفعل والتأثير، وهنا يستند مرتاض على نظرية القراءة في تحديد مفهوم النص الأدبي، "فالنص قائم على التجديدية بحكم مقروئيته، وقائم على التعددية بحكم خصوصية عطائيتهتبعا لكل حالة يتعرض لها في مجهر القراءة، فالنص من حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدد المتعدد بتعدد تعرضه للقراءة، ولعل هذا ما تطلق عليه "جوليا كريستيفا" (إنتاجية النص) حيث إنه يتخذ من اللغة مجالا للنشاط فتراه يتردد إلى ما يسبق هذه اللغة محدثا بعدا بين لغة الإستعمال اليومية –وهي اللغة المسخرة لتقديم الأشياء والتفاهم بين الناس – والحجم الشاعر للفعاليات الدالة، فتنشط اللغة التي هي الأصل الأدبي في كل مرحلة نشاط هذه اللغة التي هي أصل النص في كل مراحله ومظاهره.

ويعرف النص الأدبي أيضا بأنه: "عالم ضخم متشعب متشابك معقد، ورسالته مبدعة تنتهي لدى الفراغ من تدبيجه، فهو لا يرافقه إلا في لحظة المخاض، أو لحظة الصفر كما يطلق عليها "رولان بارط".

وإذا تأملنا هذا التعريف الذي قدمه مرتاض للنص الأدبي، وأمعنا النظر إلى بعض الكتب التي تتمحور دراستها حول لسانيات النص نجد أنه قد أحسن في تعريفه هذا ووضع مصطلح "عالم" كون كتب لسانيات النص تضع المصطلح القريب منه والمتمثل في "عالم النص".

3/معايير النصية

ويذهب **صبحي ابراهيم الفقي** في كتابه علم اللغة النصيبين النظري والتطبيق إلى تبني تعريف "روبرت دي بوجراند" ويعتبره من التعريفات الجامعة والذي يرى النص "أنه حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير:

1- السبك أو الربط النحوي (Cohesion).
2- الحبك (Coherence) أو التماسك الدلالي، وترجمها تمام حسان بالإلتحام.
3- القصد (Intentionality) وهو الهدف من إنشاء النص.
4- القبول أو المقبولية (Acceptability) وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.
5- الإخبارية أو الإعلام (Informativity) أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.
6- المقامية (Situationality) وتتعلق بمناسبة النص للموقف.

7- التناص (Intertextuality) ".

وما هو واضح من هذا التعريف الذي يتبناه صبحي إبراهيم الفقي أنه تعريف شامل لا يلغي عنصرا من عناصر الحدث الكلامي في التحليل؛ حيث أنه جمع بين المرسل للرسالة ومتلقيها وكذلك السياق بالإضافة إلى أدوات الربط اللغوية، حيث كل هذه العناصر النصية كانت محل اهتمام في التحليل النصي لديه، ومما هو ملاحظ عليه أنه لا يعطي عنصرا اهتماما أكثر على حساب العناصر الأخرى بل يساوي بين كافة عناصر التحليل النصي.

- **عند علماء الغرب:**

يعدّ فان ديك من رواد لسانيات النص بفضل الجهود الجادة التي قدّمه في سبيل توصيف بنية ونصية الأشكال الأدبية حيث اهتم في كتابه المشهور"النص والسياق" بتحليل النص رابطا بين الأبعاد البنوية والسياقية والثقافية، أي بين الجوانب الدلالية والتداولية.

وتحدد **جوليا كريستيفا** النص على أنه: "جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه، فالنص إذن إنتاجية، وهو ما يعني:

أ- أنّ العلاقة باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع (صادمة بناءة)، ولذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللسانية الخالصة.

ب- أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى".

تركّز **كريستيفا في تعريفها للنص** ،أنّه ظالهرة تتجاوز ماهو لغوي؛ أي أنّ تحليل النص لا ينحصر في مقولات اللغة، كما تنطلق من مفهوم التناص في تحديد مفهوم النص، أي ينظر إلى النص من حيث إنتاجه كنص يتعلق مع نصوص أخرى.

أما عند الرجوع إلى المنطلقات اللسانية في تعريف النص خصوصا تلك التي تأخذ من لسانيات النص منهجا في تعريفاتها، فنجد: **كلاوس برينكر**،إذ يذهب إلى أن النص: "تتابع متماسك من علامات لغوية، أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى أشمل"، فهو يرى في تعريفه هذا أن النص وحدة لغوية كبرى يتكون من وحدات صغرى متماسكة بعضها ببعض، في إشارة إلى عملية الترابط النصي من خلال التعالق بين الأجزاء المتوالية.

ويرى برينكر أن تعريفات النص المختلفة قد انطلقت من اتجاهين:

الإتجاه الأول: يقوم على أساس النظام اللغوي، وقد اعتمدت معظم التعريفات فيه إلى حد بعيد على تحديدات علم لغة الجملة ذات الأصل البنيوي أو التوليدي – التحويلي، حيث يظهر النص كتتابع متماسك من الجمل.

والإتجاه الثاني: يقوم على أساس نظرية التواصل، فيعرف النص بوصفه فعلا لغويا معقدا يحاول المتكلم به أو كاتبه أن ينشئ علاقة تواصلية معينة مع السامع والقارئ. وترتكز في ذلك على نظرة الفعل الكلامي المتطورة داخل الفلسفة اللغوية الأنجلوسكسونية.

واقترح برينكر في نهاية عرضه للإتجاهين مفهوما يجمع ويدمج الجانبين اللغوي البنيوي والتواصلي السياقي، فيعرف النص على أنه "وحدة لغوية تواصلية في الوقت نفسه".

أما هاليداي Halliday ورقية حسن Roquaiya Hassan فقد أشارا إلى أن: " كلمة نص تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة" ، وظاهر هذا التعريف أن النص يشمل المنطوق والمكتوب سواء طال حجمه أو قصر، كما أنّهما ينظران إلى النص باعتباره وحدة دلالية، سواء كان كلمة أو جملة أو عددا من الجمل، فهما يركزان على الوظيفة التواصلية للنص، فبأي شكل كان-كلمة أو جملة أو عددا من الجمل-يمكن عدّه نصا،إذا تحقق التواصل.

ويذهب هارفج **R.Harvig** إلى أن النص عبارة عن " ترابط مستمر للاستبدالات السنتجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص".

وهناك من ينظر إلى النص على أنه كم أو مجموعات من الإشارات التواصلية، التي تحقق العملية التواصلية بين منشئ النص ومتلقيه، كما يذهب إلى ذلك**شميث S.J.Schmdt** فى تعريفه للنص مؤكدا هذا المفهوم حيث يقول: النص "جزء محدد موضوعيا (محوريا) من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية (إنجازية) "، فهو هنا اشترط وحدة الموضوع الذي يتمحور حوله النص، وأيضا وحدة مقصده، ويكون قد تشكل لأداء هدف معين، وهناك تعريفات كثيرة لم تذكر واقتصرت على بعضها خشية الإطالة.